﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾ [إبراهيم: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اللهُ ﷻ لا يَدَعُ الظّالمينَ دون حسابٍ عسيرٍ في يومِ الحسابِ

لَمّا ختمَ إبراهيمُ ﷺ في الآيةِ السّابقةِ دعاءَه بيوم الحساب الَّذي يوجبُ ذِكْرُه كلَّ سعادةٍ، ونسيانُه كلَّ شقاوة، ذكرَ بعضَ ما يتَّفقُ فيه رجوعًا إلى ما مضى مِن أحوالِ يومِ القيامة على أحْسنِ وجهٍ، فقالَ - عاطفًا على قولِه: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ﴾ [إبراهيم: 31] - وجُلُّ المقصدِ تهديدُ أهلِ الظُّلم بالإشراكِ وغيرِه، وخاطبَ الرَّأسَ الَّذي لا يمكنُ ذلك منه، ليكونَ أوْقعَ في قلبِ غيرِه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ مِن أعمالِ الكفرِ والظُّلم، إنَّما يُؤَخِّرُهم ليومِ تظهرُ عليهم فيه أماراتُ الخوفِ والجَزَعِ، مع أشدِّ حالاتِ الذُّلِّ والصَّغار، وقلوبُهم فارغةٌ لا شيءَ فيها منَ الجُرأةِ والأنَفَةِ الَّتي كانوا يُظهرونَها مِن قبلُ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾: (حسب): الحاءُ والسِّينُ والباءُ أصولٌ أربعة؛ أحدُها: الحِسْبانُ: وهو الظَّنّ[2]، وهو المعنيُّ هنا، كما في قولِه تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [العنكبوت: 2]، وقولِه سُبحانه: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [العنكبوت: 4]، وقولِه هنا في الآية: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾، فكلُّ ذلك مصدرُه الحِسْبان، والحِسْبانُ: أن يَحكُمَ لأحدِ النَّقيضَيْن مِن غيرِ أن يَخْطُرَ الآخَرُ ببالِه، فيَحْسبَه ويَعقِدَ عليه الإصبعَ، ويكونَ بعَرَضِ أن يَعْتَريَه فيه شَكٌّ، ويُقارِب فيه الظَّنَّ، لكنَّ الظَّنّ أن يخطُرَ النَّقيضان ببالِه، فيُغَلِّبَ أحدَهما على الآخر[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 10/433 - 434.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حسب).
(3) الرّاغب، المُفردات: (حسب).

2) ﴿غَٰفِلًا﴾: (غفل): الغَيْنُ والفاءُ واللّامُ أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على تركِ الشَّيء سَهْوًا، وربَّما كان عن عَمْد، من ذلك: غَفَلْتُ عنِ الشَّيءِ غَفْلَةً وغُفولًا، وذلك إذا تركتَه ساهيًا، وأغْفَلْتَه إذا تركتَه على ذِكْرٍ منكَ له، قالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 92][1]. وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّـهَ غَٰفِلًا﴾؛ أيْ: مُهْمِلًا لهم إذا أنْظَرَهم وأجَّلَهم[2].

3) ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: أخَّرَ الشَّيءَ فتأخَّرَ، واسْتأخَر، والآخِرُ: بعد الأوَّل، تقولُ: جاءَ آخِرًا وأخيرًا. والتَّأخيرُ: مُقابلٌ للتَّقديم، قالَ تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2][3]. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾؛ أيْ: يُمْهِلُهم ويُؤخِّرُ جزاءَهم وعذابَهم[4].

4) ﴿تَشْخَصُ﴾: شَخَصَ، يشخَصُ، شُخوصًا، وشَخَصَ بصرُه، فهو شاخصٌ: إذا فَتَح عَيْنَيْه وجَعَلَ لا يَطْرِفُ، قالَ تعالى: ﴿شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبياء: 97]؛ أيْ: أجفانُهم لا تَطْرِف[5]. وقولُه تعالى: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أيْ: تُرفَعُ فيه أبصارُ أهلِ الموقف، ولا تغمُضُ مِن هَوْلِ ما تراه في ذلك اليوم[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المعنى: ولا تحسبَنَّ اللّهَ يا مُحمَّدُ إذا أنْظَر الظّالمينَ وأجَّلَهم، أنَّه غافلٌ عنهم مُهْمِلٌ لهم لا يُعاقبُهم على صُنْعِهم؛ بل يُحصي ذلك عليهم ويَعُدُّه عليهم عَدًّا، وإنَّما هو يُنظرُهم ليومٍ لا تغمُضُ فيه أعينُهم مِن شِدَّةِ أهوالِه[7].

اللهُ ﷻ لا يُهمِلُ عقابَ الظّالِمين

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (غفل).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/496.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/157.
(4) الرّاغب، المُفردات، والرّازيّ، مختار الصّحاح: (أخر).
(5) الرّاغب، المُفردات، والرّازيّ، مختار الصّحاح: (شخص).
(6) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/157.
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/496.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوصلِ ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾:

تأكيدُ الوعيدِ مع تسليةِ رسولِ الله ﷺ

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ عَطَفتْ جُملتَها على الجُمَلِ السّابقة، وهذا العطفُ له اتِّصالٌ بجُملة: ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾ [إبراهيم: 30]، الَّذي هو وعيدٌ للمشركينَ، وإنذارٌ لهم بأن لا يَغْترّوا بسلامتِهم وأمْنِهم، تنبيهًا لهم على أنَّ ذلكَ متاعٌ قليلٌ زائلٌ، فأكَّدَ الوعيدَ بهذه الآية، مع إدْماجِ تسليَةِ الرَّسولِ ﷺ على ما يتطاوَلون به منَ النِّعمة والدَّعَة، كما دَلَّ عليه التَّفريعُ في قولِه: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: 47]، وفي معنَى الآيةِ قولُه: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾ [المزّمّل: 11]. وباعْتبارِ ما فيه مِن زيادةِ معنَى التَّسلية، وما انْضمَّ إليه مِن وصفِ فظاعةِ حالِ المشركين يومَ الحَشْرِ، حَسُنَ اقترانُ هذه الجملةِ بالعاطفِ، ولم تُفصَل[1].

بَلاغةُ الكنايةِ في النَّهي بـ﴿وَلَا﴾:

النَّهيُ كنايةٌ عن إثباتِ ضِدِّ المَنهيِّ عنه

صيغةُ النَّهي في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ ظاهرُها نهيٌ عن حِسبانِ ذلك، وهذا النَّهيُ كنايةٌ عن إثباتِ وتحقيقِ ضدِّ المَنْهيِّ عنه، في المقامِ الَّذي من شأنِه أن يُثيرَ للنّاسِ ظنَّ وقوعِ المَنهيِّ عنه؛ لقوَّةِ الأسبابِ المُثيرةِ لذلك، وذلكَ أنَّ إمهالَهم وتأخيرَ عقوبتِهم يُشبهُ حالةَ الغافلِ عن أعمالِهم؛ أيْ: تَحَقَّقْ بأنَّ اللّهَ ليس بغافلٍ، وهو كنايةٌ ثانيةٌ عن لازمِ عدمِ الغَفْلةِ وهو المؤاخذةُ، فهو كنايةٌ بمرتبتَيْن؛ ذلك لأنَّ النَّهيَ عنِ الشَّيءِ يأذَنُ بأنَّ المنهيَّ عنه بحيثُ يتلبَّسُ به المخاطَبُ، فنهيُه عنه تحذيرٌ منَ التَّلبُّسِ به، بقطعِ النَّظَرِ عن تقديرِ تَلبُّسِ المخاطَبِ بذلك الحِسبان. وعلى هذا الاسْتعمالِ جاءتِ الآية، سواءٌ توجَّهَ الخطابُ لكلِّ مَنْ يَصِحُّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/245.

أنْ يُخاطَبَ به، فيدخُلُ فيه النَّبيُّ ﷺ ، أمْ توجَّه للنَّبيِّ ﷺ ابْتداءً، ويدخُلُ فيه أُمَّتُه[1].

إيثارُ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بالفعلِ المضارع ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ مع نونِ التَّوكيد الثَّقيلة؛ للاسْتمرارِ في النّهي عن هذا الحسبانِ في إهمالِ الظّالمينَ وعدمِ مؤاخذتِهم، واليقينِ التّامِّ بأنَّ اللّهَ عالمٌ بتمامِ عِلْمِه، وكمالِ حِكْمَتِه حَقًّا ويقينًا، بما يعملُ الظّالمون، وأنَّه سيُجازيهم بموجبِ وعيدِه العظيمِ لهم[2].

اللهَ تعالى عالِمٌ بما يَعملُ الظّالمون، وسيُجازيهم بما يَستحِقّون

نُكْتَةُ العُدولِ إلى اسمِ الجلالةِ:

لَما بيَّن في الآياتِ السّابقةِ دلائلَ التَّوحيد، ثمَّ حكى عن إبراهيمَ عليه السلام أنَّه طلبَ منَ اللّهِ أن يَصونَه عنِ الشِّرك، وكان القومُ في عهدِ الرَّسول ﷺ مشركين في توحيد الأُلوهيَّة، فعَبَدوا الأصنامَ، وفعلوا أفعالَ الظّالمينَ، معَ كونِهم مُقِرّين بتوحيدِ الرُّبوبيَّة، لم يكنْ ذلك مُنجيًا لهم وقد عبدوا غيرَ اللّه. فجاء التّصريحُ بذِكرِ لفظِ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾، في قولِه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾؛ إيحاءً إلى ذلك المعنَى، وأنَّ اللّهَ الَّذي عبدوا غيرَه، أو أشركوا معه غيرَه في العبادة ليس غافلًا عمّا يعملُه أولئك الظّالمون، من الكفر والشِّرك في عبادتِه، وما ينتج عنه مِن أعمالٍ خبيثةٍ، في حقِّ اللّهِ وحقِّ عبادِه[3].

اللهُ المعبودُ بحقٍّ دونَ سواه، ليس غافلًا عمَّن كفَروا بعبادتِه

بَلاغةُ الكنايةِ والمَجازِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾:

نفيُ الغَفْلةِ عنِ اللّهِ تعالى في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ليس جاريًا على صريحِ معناه؛ لأنَّ ذلك لا يظنُّه مؤمنٌ؛ بل هو كنايةٌ عنِ النَّهي عنِ اسْتعمالِ العذابِ للظّالمين، ومنه

الكنايةُ عنِ النَّهي عنِ اسْتعمالِ العذابِ للظّالمين

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/382، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/245 - 246.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/451.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/107.

جاءَ معنَى التَّسليةِ للرَّسول ﷺ[1]. والمُراد بالنّهي عن حسبانه غافلًا: الإيذانُ بأنّه تعالى عالمٌ بما يفعل الظّالمون، لا يخفى عليه شيءٌ منه، وأنّه معاقبُهم على كثيره وقليله، على سبيل الوعيد والتّهديد، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨٣﴾ [البقرة: 283] يريد الوعيدَ؛ فهذا كنايةٌ أو مجازٌ عنِ الوعيد والتّهديد؛ أي: لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ يتركُ عقابَهم؛ لأنّه جائزٌ في كَرَمه أن يعفوَ عنهم، لكن لا بدّ أن يعاقبَهم على القليل والكثير[2].

بَلاغةُ الاستعارةِ التّمثيليّةِ ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾:

اللهُ تعالى رقيبٌ على أعمالِهم وسيُحاسِبُهم

وثمّةَ وجهٌ آخرُ وهو أنْ يُراد: ولا تحسبنّه تعالى يُعاملهم معاملةَ الغافلِ عمّا يعملون، ولكن يعاملُهم معاملةَ الرّقيبِ عليهم، المُحاسِبِ على النّقير والقِطمير مِن أعمالهم. فعلى هذا يكون مِن باب الاسْتعارَة التّمثيليّةِ، كما في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: 9][3].

نوعُ (ما) في: ﴿عَمَّا يَعۡمَلُ﴾:

اللهُ مُحيطٌ بكلّ أعمالِهم ومُخصٍ لها

﴿عَمَّا﴾ في قولِه تعالى: ﴿عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ اسْمٌ موصولٌ[4] بمعنَى (الَّذي)؛ أيْ: لا تحسبن اللّهَ غافلًا عنِ الَّذي يعملُه الظّالمون مِن أعمالِ الكفرِ والشِّرك. وإيثار ﴿عَمَّا﴾ في هذا المقام عن (الّذي) يُشيرُ إلى شُمولِ عملِهم، الظّاهِرِ والباطِنِ، الحاضِرِ والمُستقبلِ.

إيثارُ فعلِ ﴿يَعۡمَلُ﴾ على غيره:

عملُ الظّالمين مقصودٌ مُنافٍ للإخكامِ

آثَرَ السّياق القُرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فعلَ (العمل) على فِعلَي (الصُّنع)، و(الفعل)؛ لأنّ (العمل) أخصُّ من (الفعل)؛ فهو فعلٌ بنوعِ مشقّةٍ، وهو أيضًا ما يَصْدُر بقَصْدٍ؛ لأنَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/246.
(2) القُونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 11/94.
(3) القُونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 11/94 - 95.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/205.

الفعلَ قد يُنسبُ إلى الحيوانات الّتي يقع منها فِعلٌ بغير قَصْدٍ، وقد يُنسَب إلى الجمادات، والعملُ قلّما يُنسبُ إلى ذلك.

و(الصُّنْعُ): إجادةُ الفعل، فكلّ صُنْعٍ فِعْلٌ، وليس كلُّ فِعْلٍ صُنْعًا، ولا يُنسَبُ إلى الحيوانات والجمادات كما يُنسبُ إليها الفعلُ[1].

ومن هاهنا كان إيثارُ لفظِ العملِ مناسبًا لقَصديّة القيام بما قاموا به، مِن صور الظُّلم الّذي يُنافي الإجادةَ، والدّقّةَ، وإبداعَ العملِ.

سِرُّ إيثارِ صيغةِ المضارع ﴿يَعْمَلُ﴾:

استمرارُ الظّالمينَ بأعمالِ الكفرِ

جاءَ اسْتعمالُ صيغةِ المضارع في سياقِ الآيةِ ﴿يَعْمَلُ﴾؛ للدّلالةِ على تجدُّدِ قيامِ الظّالمينَ بتبديلِ نعمةِ اللّهِ كفرًا، واسْتمرار إحلالِ قومِهم دارَ البَوارِ، واتِّخاذِ الأنداد[2].

سِرُّ إسْنادِ الفعلِ ﴿يَعْمَلُ﴾:

الدّلالةُ على وجودِ أعمالٍ للظّالمينَ تفضحُ كُفرَهم وشِركَهم باللهِ

جاءَ إسنادُ الفعلِ ﴿يَعْمَلُ﴾ إلى الظّالمينَ؛ للدّلالةِ على أنَّ هؤلاء الظّالمينَ لم يكتفوا بعدمِ الاعْترافِ بوَحدانيَّة اللّه؛ بل أضافوا إليه أعمالًا هي دونَ الشِّرك، مثلَ: ظُلم النّاسِ بالاعْتداءِ عليهم، أو جرمانِهم حقوقَهم، وصدِّهم عن سبيل اللّه، وكلِّ ما يدخلُ في أعمالِ ظُلْمِ العبادِ للعباد[3].

علّةُ فصْلِ جملةِ ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾:

الجملةُ تعليلٌ للنَّهي في صدْرِ الآيةِ

فُصِلَتْ جملةُ ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ عمّا قبلَها؛ تعليلًا للنَّهي السّابقِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾؛ أيْ: دُمْ على ما كنتَ عليه مِن عدمِ حِسبانِه تعالى غافلًا عن أعمالِهم، ولا تحزَنْ بتأخيرِ ما تستوجِبُه منَ العذاب الأليم؛ إذْ تأخيرُه للتَّشديدِ والتَّغليظ[4]. وفيها تسليةٌ للمظلومِ وتهديدٌ

(1) الرّاغب، المُفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (عمل).
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/274.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/246.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/108، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/274.

للظّالم، فاللّهُ تعالى - وهو العدلُ ﷻ - لا يَدَعُ الظّالمَ يفعلُ ما يشاءُ مِن أعمالِ الظُّلم دونَ جَزاء.

بَلاغةُ أسلوبِ القَصْرِ:

تـهـويـلُ ما سيُصيبُهم منَ العذابِ والإذلالِ لا محالةَ

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾، صُدِّرَ التّأخيرُ بـ ﴿إِنَّمَا﴾ لقَصْرِ التّأخيرِ بما وراءَه مِن صفات: كشُخوصِ الأبصار، وحالِ كونِهم مسرعين رافعي رؤوسِهم ذُلًّا وخُشوعًا، وذلك لقَصْدِ تهويلِ الخَطْبِ وتفظيعِ العذابِ، ببيانِ أنَّهم مُتوجِّهونَ إلى العذابِ لا محالةَ، وللدّلالةِ على أنَّ حقَّهم منَ العذابِ هو الاسْتئصالُ بالمَرَّة، وألّا يَبْقى منهم في الوجودِ عَيْنٌ ولا أثَر، وللإيذانِ بأنَّ المؤخَّرَ له مِن جملةِ العذابِ وعُنوانِه[1].

سِرُّ إيثارِ اللّامِ في قولِه: ﴿لِيَوْمٍ﴾:

التّأخيرُ لأجلِ جزاءِ يومٍ تَشخصُ فيه الأبصارُ

آثرَ السِّياقُ القرآنيُّ إلصاقَ اللّام بـ (يوم) دونَ حرفِ الجرِّ (إلى) لبيانِ الغاية؛ أيْ: هذا التّأخيرُ لأجلِ جزاءِ يوم[2].

سِرُّ تنكيرِ (يوم) في: ﴿لِيَوْمٍ﴾:

وقتُ يومِ الجزاءِ غيرُ معلومٍ

جاءَ قولُه تعالى: ﴿لِيَوْمٍ﴾ نَكِرةً؛ لإبهامِ وقتِ هذا اليوم، فهو يومٌ يَحْدُثُ فيه ما يَحْدُثُ مِن أهوالٍ لأولئك الظّالمين، لكنَّ وقتَه غيرُ معلومٍ لأحدٍ من الخَلْق، وإنَّما عِلْمُ وقوعِه عندَ اللّهِ وَحدَه.

إيثارُ التَّعبيرِ بـ ﴿تَشْخَصُ﴾:

استمرارُ عدَمِ طَرْفِ الأعْيُنِ مِن شدَّةِ أهوالِ يومِ القيامةِ

آثرَ سياقُ الآيةِ التَّعبيرَ بالفعلِ ﴿تَشْخَصُ﴾ دونَ غيرِه منَ المُقاربات؛ لأنَّ هذا التَّعبيرَ يدلُّ على مجموعةٍ منَ المعاني، كلُّها تتضافرُ لتُحَقِّقَ المعنَى الكاملَ المُرادَ في هذا الحَدَثِ المُرعبِ المُفزع، والظّاهرُ أنّ اللّفظَ مأخوذٌ مِن شَخَصَ الرّجلُ مِن بلده، إذا خرج

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/274.
(2) العُكبريّ، إملاء ما منّ به الرّحمن: 2/70.

منه[1]، فقولُنا: شخَصَ البَصَرُ نفسُه، إذا سَما وطَمَحَ وشَصا[2]، وشَخَصَ بصرُه: إذا فتحَ عَيْنَيه لا يَطْرِفُ[3]؛ أيْ: مِن هَوْل ما ترى في ذلكَ اليوم[4]، وهي تحدُّ النَّظرَ لفَزَعِ ذلكَ، ولِفَرْطِه بشخصِ المُحْتَضَر[5]، وتدلُّ صيغةُ المضارعِ في ﴿تَشْخَصُ﴾ على تجدُّدِ حالِ تلكَ الأبصارِ، واسْتمرارِها مع اسْتمرارِ تلكَ الأهوالِ بأصحابِها، حتَّى يقضيَ اللّهُ بين العباد، إمّا إلى جنَّةٍ وإمّا إلى نار.

سِرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرور على الفاعلِ:

تَخصيصُ الشُّخوصِ في هذا اليومِ دونَ غيرِه

تقدَّم شِبهُ الجملةِ ﴿فِيهِ﴾ على الفاعلِ ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ لتخصيصِ الشُّخوصِ في هذا اليومِ بالذّاتِ دونَ غيرِه، وللمبالغةِ في تصويرِ شِدَّةِ أهوالِه، وخطيرِ أحوالِه، فجاءَ هذا التَّعبيرُ مُبيّنًا لما تقدَّمَه في صدرِ الآيةِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[6].

فائِدةُ جمْعِ ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾:

عُمومُ أبصارِ النّاسِ في رُؤيةِ هولِ ما يُصيبُ الظّالمين

أفادَ جمْعُ ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ العمومَ؛ أيْ: تشخَصُ فيه أبصارُ النّاسِ مِن هَوْل ما يَرَوْن، ومِن جملةُ ذلك: مشاهدةُ هَولِ أحوالِ الظّالمين[7].

دَلالةُ الألفِ واللّامِ في ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾:

التَّعريفُ تعميمٌ يُرادُ به زيادةُ تهويلٍ وترهيبٍ

الألفُ واللّامُ في قولِه تعالى: ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ للعهد، ويَدُلُّ على الضّمير؛ لأنَّ التَّأويل: تشخَصُ بأبصارِهم[8]، وتحتملُ (ال) الجنسَ؛

(1) القُونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 11/94 - 95.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (شخص)، وابن منظور، لسان العرب: (طمح) و(شصا). ومعنى (شصا): الشُّصوُّ من العين: مثل الشُّخوص، شصا يشصو: كأنّه ينظر إليك وإلى آخر. يُنظر: الخليل، العين: (شصو).
(3) ابن السّكّيت، إصلاح المنطق، ص: 263، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (شخص).
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/382.
(5) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/344.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/246.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/246.
(8) الواحديّ، التّفسير البسيط: 12/494.

وفيه تهويلٌ وتعميمٌ لشُخوص أبصارِ أهلِ المَوقف جميعًا، حين ترتفع أبصارُ أهلِ الموقفِ فيدخلُ في زُمرتهم الكفرةُ المعهودون دُخولاً أوّليًّا؛ أيْ: تبقى مفتوحةً لا تتحرّكُ أجفانُهم مِن هول ما يرَونه[1]. وردّ القونويُّ حملَ الألفِ واللّام على الاسْتغْراق لعدم ملاءمته للسّباق والسّياقِ، وأيْضًا الاسْتغْراقُ في حَدّ ذاته غيرُ مستقيمٍ؛ إذ أبصارُ الأخيارِ قارّةٌ في مواضعها[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحِسبانُ والظَّنُّ:

الحِسبانُ من الحساب، تقولُ: أحْسَبُه بالظَّنِّ قد مات، كما تقولُ أعُدُّه قد مات، ثمَّ كَثُرَ حتَّى سُمِّيَ الظَّنُّ حِسبانًا على جهةِ التَّوسُّع، وصارَ كالحقيقةِ بعد كَثْرةِ الاسْتعمال، وفُرِّقَ بينَ الفعلِ منهما، فيُقالُ في الظَّنِّ: حَسِبَ، وفي الحسابِ: حَسَبَ، ولذلك فُرِّقَ بينَ المصدرَيْن، فقيل: حَسْبٌ وحِسْبان. والحِسبانُ لا يكونُ إلّا باطلًا، قالَ تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: 115].

الحِسبانُ منَ الحساب، والظَّنُّ حِسبانٌ على جهةِ التَّوسُّعِ

والظَّنُّ: ضربٌ منَ الاعْتقاد، وقد يكونُ حِسبانٌ ليس باعْتقادٍ، ألا ترى أنَّكَ تقولُ: أحسِبُ أنَّ زيدًا قد مات، ولا يجوزُ أن تعتقدَ أنَّه مات، مع علمِكَ بأنَّه حيٌّ[3].

الغَفْلةُ والنِّسيانُ:

الغَفْلةُ: عدمُ التَّفطُّنِ للشّيء، وعدمُ عَقْليَّته بالفعل، أو هي عدمُ حضورِ الشَّيءِ في البالِ بالفعل، سواءٌ بقيتْ صورتُه أو معناه في الخيال، أو الذِّكر، أوِ انْمحتْ عن أحدِهما. والغَفْلةُ أعمُّ من النِّسيانِ[4].

الغَفْلةُ أعمُّ منَ النِّسيان

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/55.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 11/94 - 95.
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 185، 343، والكفويّ، الكلّيّات: 2/248.
(4) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 389، والكفويُّ، الكلّيّات: 3/26، والجُرجانيّ، التّعريفات، ص: 260.

والنِّسيانُ: الغَفْلةُ عنِ الشَّيءِ معَ انْمحاءِ صورتِه أو معناه عنِ الخيال، أوِ الذِّكرِ بالكُلِّيَّة، ولذلكَ يحتاجُ النّاسُ إلى تَجَشُّمِ كَسْبٍ جديدٍ وكُلفةٍ في تحصيلِه ثانيًا[1].

ونفْيُ الفعلِ العامِّ مُقتضٍ لنفيِ الخاصّ، فما كان ربّنا غافلًا عمّا يفعلُه الظّالمون، وما كان ربّنا نسِيًّا.

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 389، والكفويّ، الكلّيّات: 3/25، 143، والجرجانيّ، التّعريفات، ص: 260.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 25 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-22-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 25 : المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-22-7
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»